الحلقة التاسعة

من كتاب: تجربتي في الكتابة التاريخية

بقلم الاستاذ الكبير الدكتور فاروق عمر فوزي

المبحث السابع

قصتي مع تاريخ عُمان

".. وكلما تقدم بي البحث في نطاق أطروحتي عن الدعوة العباسية،
كلما زاد شوقي إلى التعرّف أكثر
على تلك الدعوة التوأم للدعوة العباسية ألا وهي الدعوة الإباضية...".

"للهِ عِبَادٌ إذا أرادوا أراد"

****

تبدأ قصتي في التعرّف على تاريخ عمان والرغبة في دراسته إلى الستينيات من القرن العشرين، حينما حصلت على بعثة رسمية من العراق وطني لدراسة التاريخ الإسلامي في "مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية" بجامعة لندن University of London, S.O.A.S. . وبعد أن اجتزت السنة التمهيدية التي تعد سنة مقررات دراسية والحصول على الكفاءة باللغة الإنكليزية اتفقت مع الأستاذ المشرف على عنوان أطروحتي الذي كان لُب الموضوع فيها The core of the problem إعادة تقييم الدعوة العباسية".

بدأت جمع المادة التاريخية من مصادر التاريخ الإسلامي المعروفة، وكنتُ كلما أمعن الاطلاع على المصادر أدرك كثرة الأخبار وثرائها عن الدعوة العباسية، ولكن في الوقت نفسه وبين حين وآخر أقرأ في المصادر ذاتها أخبارًا هامشية قصيرة تكاد لا تفي بنهم الباحث المتعطش إلى الأخبار عن دعوة أخرى معاصرة للدعوة العباسية ومشابهة لها في دقة التنظيم والسرية ومعارضة للأمويين ولكنها مختلفة عنها في الأهداف، ألا وهي الدعوة الإباضية. ومنذ ذلك التاريخ وتحديدًا سنة 1962م بدأت أحاول جمع النتف والأخبار عن الدعوة الإباضية وتاريخ عُمان في القرون الإسلامية الأولى المرتبط بها، جنبًا إلى جنب مع جمعي المعلومات الغزيرة عن الدعوة العباسية.

وكلمّا تقدّم بي البحث في نطاق أطروحتي عن الدعوة العباسية، كلّما زاد شوقي إلى التعرّف أكثر عن تلك الدعوة التوأم للدعوة العباسية. ولم يشغلني البحث والكتابة في أطروحتي أن أجمع المعلومات عن تاريخ عُمان في العصر الإسلامي، بل وأصور البحوث التي أطلّع عليها صدفة عن عمان وأنا أتصفح المجلات التاريخية أو أدلة البحوث. وهكذا حين أنهيت أطروحة الدكتوراه عن الدعوة العباسية، كان قد تجمّع لديّ كم من المعلومات المتناثرة وأسماء مصادر وعناوين بحوث عن عمان والدعوة الإباضية فيها.

إن موضوع أطروحتي يلزمني أن أقدم تفسيرًا جديدًا أواجه التفاسير المتنوعة وخاصة تفاسير المستشرقين التي فسرت بها الدعوة العباسية وواجهاتها الدينية – السياسية. وهو ما كان يتطلبه الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة لندن. من أجل ذلك لم أجد الوقت الكافي في تلك الفترة للبحث أكثر في تاريخ عُمان. خاصة وكما هو معروف لدى الباحثين، أن الهاجس الرئيس الذي يسيطر على الباحث هو إنهاء أطروحته بنجاح والحصول على الدرجة التي جاء إلى بلاد الغربة من أجلها والعودة إلى الوطن. عدت إلى وطني العراق سنة 1967م، وعُينت في قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة بغداد، وكانت الرغبة التي طغت على مشاعري هو نشر أطروحتي وبسرعة، فقد كنت متحمسًا لإيصال "تفسيري" عن الدعوة العباسية المدعم بأدلة من مصادر تاريخية جديدة، خاصة بعد فقدت فرصة نشر أطروحتي على حساب جامعة لندن بسبب إصرار الملحق الثقافي العراقي على عودتي بسرعة إلى الوطن. وهي فرصة فريدة لا تعوض ولا تتكرر. لقد مرت السنوات الأخيرة من الستينيات والسنوات الأولى من السبعينيات وكنت مشغولاً فيها بنشر الأطروحة بمساعدة من جامعة بغداد، وكذلك في التدريس في جامعة الرياض حيث أعيرت خدماتي.

وما أن عدت ثانية إلى بغداد في قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة بغداد، حتى عادت الرغبة تراودني إلى موضوعي الذي كان ولم يزل يشغل جزءًا من تفكيري، وهو موضوع تاريخ عُمان والدعوة الإباضية. ولكن التفكير الآن أصبح جديًا وغدا الموضوع الأول ضمن مشاريعي البحثية، حيث كثرت في ذهني التساؤلات...

ترى لماذا هذا الكم الهائل من المعلومات عن الدعوة العباسية مقابل النزر اليسير من المعلومات عن الدعوة الإباضية؟؟

وأين أجد المصادر التي تتناول الدعوة الإباضية؟؟

ومن هم الباحثون المحدثون الذين عالجوا هذه الدعوة وما هي بحوثهم ومراجعهم؟؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التي دفعتني إلى فكرة كتابة مقال في مجلة (المورد) البغدادية الذائعة الصيت والتي تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بعنوان "**ببليوغرافيا في تاريخ عُمان**" سنة 1974م فكان هدفي من المقال أن أحصل على تجاوب من القرّاء الذين سيطلعون على المقال، ويكتبون لي أو إلى المجلة نفسها عن مصادر أو أفكار لم يتضمنها مقالي. وقد حصل ما توقعته فكان هناك ردود أثرت معلوماتي عن مصادر تاريخ عمان في الفترة الإسلامية الوسيطة. وقد شجعني ذلك أن أردف مقالي الأول بمقال آخر سنة 1975م في مجلة (المؤرخ العربي) التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب في بغداد. وكان عنوان المقال "**ملامح من تاريخ الإباضية كما تكشفه مخطوطة كشف الغمة للأزكوي**". ثم بمقال ثالث سنة 1977م عن "**عوامل انهيار الإمامة الإباضية الثانية في عُمان**" في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد. بل أكثر من ذلك اندفعت في السنة نفسها لانتهاز الفرصة والمشاركة في الندوة العالمية لدراسة "**مصادر تاريخ الجزيرة العربية**" المعقودة في جامعة الرياض ببحث موسوم "مصادر التاريخ العماني المحلية".

هكذا كانت البدايات الأولى لولعي بتاريخ عُمان، بدايات خطت خطوات بطيئة ولكنها ثابتة، غدا تاريخ عُمان التخصص الموازي لتخصصي في التاريخ العباسي. على أن المفارقة والتي تداخلت مع البدايات التي تدهشني الآن وأنا أستعرض مسيرتي العلمية، هي إنني حين أصبحت مهيئًا للإشراف على أطاريح الماجستير في كلية الآداب بجامعة بغداد بعد أكثر من سبع سنوات على حصولي على الدكتوراه، كان أول موضوع طرأ على ذهني وقررت أن أُشرف عليه يتصل بتاريخ عُمان، فقد اخترت طالبًا جادًا درّسته في مرحلة البكالوريوس بقسم التاريخ وعرضت عليه سنة 1975/1974م دراسة الدعوة الإباضية في المشرق العربي حتى سنة 280هـ أي حتى سقوط الإمامة الثانية. ولم يكن ذلك الطالب سوى مهدي طالب هاشم الذي لبى اقتراحي رغم صعوبة وقلة مصادره المنشورة آنذاك، بل وقلة المادة في المصادر التاريخية المعروفة ورحل في طلب العِلم إلى كل مكان يستطيع أن يصل إليه من شرقي الجزيرة العربية حتى جزيرة جربة في تونس مرورًا بمصر، وخرج سنة 1977م بأطروحة

ماجستير ترتقي إلى مستوى الدكتوراه لا يزال الباحثون عن الإباضية، بعد كل الزمن الذي مرّ عليها يعودون إليها، بل غدت مرجعًا مهمًا لكل باحث في الموضوع. وأكثر من ذلك فلعلها على حد علمي وإطلاعي على أدلة الأطروحات التاريخية في الوطن العربي أول أطروحة علمية أكاديمية عن تاريخ الإباضية، ولولا استشهاد مهدي طالب هاشم بعد ذلك بسنوات قليلة لأبدع في مجال اختصاصه الدقيق عن تاريخ عمان والدعوة الإباضية، مثله في ذلك مثل عمرو خليفة النامي مؤلف **(دراسات عن الإباضية)** الذي لقي هو الآخر المصير نفسه بعد تخرّجه من انكلترا بسنوات قليلة بسبب ما يحمله من فكر ليس إلاّ.

في سنة 1977م قدّمت إلى كلية الآداب بجامعة بغداد طلبًا للتفرغ العلمي Sabbatical أقضيه في بريطانيا المكان الذي حصلت فيه على الدكتوراه، وكان هدفي أن أواصل بحثي في مكتبات بريطانيا ليس في موضوع اختصاصي الأول (التاريخ العباسي) بل في موضوع تاريخ عُمان والإباضية اختصاصي الثاني. وقد وافقت جامعة بغداد على طلبي وعلى المشروع العلمي المقترح الذي قدمته وعنوانه **(مصادر التاريخ المحلي لإقليم عُمان)**. وسافرت إلى انكلترا والتحقت بمركز الدراسات العربية الإسلامية التابع لجامعة لانكاستر وكان رئيسه حينذاك البروفسور وليد عرفات الذي رحّب بي أجمل ترحيب وطلب مني بالإضافة إلى عملي البحثي أن أدرّس في المركز مقررات في تاريخ العرب ولم أتردد في ذلك.

لم يكن لدي فكرة متكاملة عن مصادر تاريخ عمان والإباضية حينذاك، بل كنت قد جمعت مادة أولية عنها حين كنت طالبًا للدكتوراه كما كنت بطبيعة الحال مطلعًا على المصادر التي تمكن مهدي طالب هاشم أن يطلّع عليها لإعداد أطروحته. شرعت في رحلة البحث عن مصادر تاريخ عُمان في المكتبات البريطانية، مبتدئًا بمكتبة المتحف البريطاني (المكتبة البريطانية الآن) الزاخرة بالتحف والكنوز عن التراث العربي الإسلامي على شكل مخطوطات أو مطبوعات وخاصة فيما يسمى بالقاعة الشرقية Oriental Hall.

ثم زرت مكتبات جامعات بريطانية أخرى مثل أكسفورد وكمبردج ولندن وخاصة مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ثم مكتبة جامعة ماتشستر وجامعة اكستر. وقد أدهشني كثرة المخطوطات العمانية الموجودة في هذه المكتبات والتي شاهدتها بالعين،

وغالبيتها بطبيعة الحال في مجال الفقه والعقيدة، ولكن البعض الآخر في مجال اللغة والأدب والتاريخ والنسب. ولعل من يتمعن ولديه الوقت الكافي يستطيع أن يعثر على العديد من المصادر العمانية التي تعد في الوقت الحاضر في عداد المصادر العمانية المفقودة. فنحن على سبيل المثال لا الحصر لا نعرف من كتب العوتبي الصحاري أول مؤخر عماني بالمعنى المتعارف عليه للمؤرخ، لا نعرف منها سوى الضياء والإبانة والأنساب، بينما يشير العوتبي أنه ألف عددًا من الكتب الأخرى وهذه الكتب لا تزال مفقودة. لقد نظمت ما استطعت الإطلاع عليه من المصادر العمانية على شكل فصول تتعلق بالسير والأنساب والتراجم والتاريخ الحولي المحلي وعلقت عليها حسب المنهج التاريخي الذي سرت عليه، وبعد عودتي إلى بغداد 1978م قدمت سمنارًا حول الموضوع في قسم التاريخ. ثم شرعت بإعداد الكتاب تمهيدًا لطبعه حيث طبع في طبعته الأولى على نفقة اتحاد المؤرخين العرب في بغداد 1979م. ثم طبع الكتاب عدة طبعات أخرى كان آخرها في مركز زايد للتراث والتاريخ في دولة الإمارات العربية المتحدة سنة 2004م.

وفي سنة 1980م أعيرت خدماتي إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة في العين، فغدوت قريبًا من عُمان. ولم تكن جامعة السلطان قابوس قد تأسست بعد. وضمن تعديلات البرنامج للمقررات الدراسية بقسم التاريخ اقترحت موضوع "**تاريخ الخليج العربي في القرون الإسلامية الأولى**" وبالفعل باشرت بتدريسه حيث استفدت كثيرًا من الإطلاع على مصادر قديمة ومراجع حديثة وبحوث في تاريخ الخليج.

وكعادتي التي تكررت عدة مرات فإني أخطط مع بداية تدريس مادة من المواد أن أحيلها في المستقبل إلى كتاب منهجي يسير وفق خطة المقرر الدراسي بغض النظر إن كان هذا الكتاب سيقرر ككتاب منهجي أم لا. وهذا ما حصل بالنسبة لمادة تاريخ الخليج العربي حيث شرعت بعد تدريسي له ثلاث سنوات بتأليف كتاب في الموضوع، فكان **كتاب الخليج العربي** الذي صدر لأول مرة في دبي سنة 1983م وشمل الأقاليم العربية الأربعة المحيطة بالخليج في القرون الإسلامية الوسيطة وهي: العراق، البحرين، عمان، الأحواز. وتناولت الفصول هذه الأقاليم ابتداءًا فترة قبيل الإسلام وصدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين حتى سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ/سنة 1258م، وقمتُ بتدريسه في جامعة الإمارات.

إلا أنه بعد عودتي إلى العراق وقبل نهاية السنة 1983م فوجئت بإحدى الجرائد الكويتية تنشر في صفحتها الأدبية تحقيقًا صحفيًا أشرف عليه صحفي عراقي هارب من العراق وجد له عملاً في هذه الجريدة، استغل ضميره الصحفي بعض الذين لا يعملون ولا يريدون لغيرهم أن يعمل، لانتقاد الكتاب والتجريح بالمؤلف، وقد استخدم الصحفي بعض "التدريسيين" العرب العاملين في الكويت ممن سولت لهم أنفسهم الاشتراك في هذا التحقيق الصحفي، ولكن الصحفي العراقي لم ينجح في كسب أيٍّ من المثقفين وأساتذة الجامعة الكويتيين أو غيرهم من دول الخليج للمساهمة في تحقيقه الصحفي هذا. لقد كان فحوى التحقيق أن مؤلف كتاب الخليج (وهو أنا) قد نشر أطروحة مهدي طالب هاشم عن الدعوة الإباضية تحت عنوان جديد باسمه. ودون أن يقارن المشاركون في التحقيق الصحفي بين (الأطروحة والكتاب) سودوا السطور والفقرات في مسرحية عن أخلاقيات وقواعد البحث العلمي وكيف يجب أن يكون، دون أن يتطرقوا إلى الأطروحة والكتاب. وواضح من فهرس مواضيع الكتاب أنه أوسع بكثير من موضوع الأطروحة التي ناقشت الدعوة الإباضية منذ سنة 90هـ- الى سنة 280هـ في البصرة وعُمان، بينما تناول الكتاب تفاصيل الأقاليم الأربعة منذ فترة ما قبل الإسلام ثم ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية. وحينما تطرقتُ إلى الفترة التي عالجها مهدي طالب **أشرتُ في الهوامش أكثر من ستين مرة إليه. وأكثر من هذا فقد ذكرت في (مقدمة الكتاب) أنني اعتمدت على مهدي طالب فيما يتعلق بفترة الدعوة الإباضية حتى 280هـ التي عالجها مهدي، خاصة وأن الأطروحة كانت تحت إشرافي، ومن حقي أن أعتمد عليها شرط أن أشير طبعًا إليها في الهامش.** ومن الطبيعي أن تكون المادة التاريخية حول عُمان والإباضية منذ ظهور الإسلام وحتى سقوط العباسيين أكثر مقارنة بالأقاليم الخليجية الأخرى (البحرين والأحواز)، ذلك أن تاريخ عُمان هو الأكثر غنى وثراء نسبيًا من بقية أقاليم الخليج باستثناء العراق بطبيعة الحال.

ولم تكذّب جامعة بغداد الخبر بل شكلت لجنة للتحقيق في مدى صحة الخبر الذي أوردته الجريدة وكان قرار اللجنة برفض التهمة جملة وتفصيلاً. ولابد أن أشير أيضًا بأنني كتبت ردًا على دعاوى "الأساتذة الجامعيين" الذين شاركوا في فبركة السيناريو، وأن رئيس تحرير الجريدة نشر الرد كاملاً. وهكذا أسقط في يد الصحفي العراقي ومن سانده من "الجامعيين" في الكويت والعراق.

والأهم من ذلك أن مساعيهم لم تؤد إلى إيقافي عن البحث، وهذا هو الأمر الذي كانوا يهدفون إليه أولاً وقبل كل شيء. ذلك أن بعض الباحثين حين يجابهون بأزمة من هذا النوع يصدمون نفسيًا ويتركون العمل البحثي تجنبًا للمشاكل، وقد أظهرت الأزمة أنني لست واحدًا من هؤلاء فلم توقفني إساءتهم، وهذا ما عجب منه بعض أصدقائي في الجامعة قبل أعدائي. أن هؤلاء الأعداء ليسوا أعداءًا شخصيين لي، وإنما هم أعداء لكل من يعمل وينتج، لا لشيء إلا لأنهم لا يكتبون ولا يريدون لغيرهم أن يكتب ولا ينتجون ولا يريدون لغيرهم أن ينتج، لقد كانت تلك "المعاناة" جزءًا من قصتي مع تاريخ عُمان ، على أن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد مخلصًا في عمله، وقد وضّح تصميمي على الاستمرار في العمل البحثي من خلال توالي البحوث التي شاركت فيها في ندوات الجمعية التاريخية البريطانية وندوات جامعة أكستر في عقد الثمانينات من القرن العشرين. حيث شاركت في بحوث عن تاريخ عمان والخليج العربي والفكر السياسي للإباضية ودور أهل عمان في نشر الإسلام، وكذلك في أسلمة الخليج والمراكز الحضرية فيه بدعوى من المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الحي شعبان الذي كان يصر على مشاركتي في الندوات السنوية في تلك الفترة خاصة وأن لدينا رابطا مشتركا هو تناولنا الدعوة العباسية في رسالتينا للدكتوراه حيث درس شعبان في جامعة هارفرد بأمريكا وكانت دراستي في جامعة لندن بالمملكة المتحدة.

وخلال فترة الثمانينات وأوائل التسعينات كنت أحاول أن أجد طالبًا يتمتع بسجايا وقابليات مهدي طالب هاشم لأقترح عليه موضوعًا في تاريخ عُمان دون جدوى. فمن النادر أن يعثر الأستاذ المشرف على تلميذ نابه وجاد وفوق ذلك صبور يتحمل الصعاب والأسفار ليجد المادة التاريخية المرجوة وخاصة فميا يتعلق بتاريخ عُمان في القرون الإسلامية الأولى، فغالبية الطلاب هدفهم الحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه في أقصر وقت وأقل جهد ممكن. وغالبية الطلاب يحققون أهدافهم في نيل الشهادة العليا، ولكن ليس كل الطلاب يصبحون باحثين مرموقين وأكاديميين متميزين. بل إن أغلب هؤلاء يعتبرون الشهادة العليا Prestige مدعاة للشهرة في المجتمع وسلمًا للوصول إلى المناصب خارج نطاق الجامعة ومراكز البحوث.

في سنة 1993م عزمت على طلب التفرغ العلمي الثاني في مسيرتي الجامعية في بغداد. وهو حق مشروع لعضو الهيئة التدريسية في الجامعة كل خمس سنوات. ومرة أخرى كان الموضوع الذي قدمته من أجل التفرغ العلمي عن تاريخ عمان وعنوانه "**الإمام ناصر بن مرشد اليعربي ودوره في توحيد عُمان**".

لقد أعجبت بشخصية الإمام ناصر وأسلوبه في توحيد القبائل العُمانية وصد المعتدين الأجانب، ثم ما حققه من مكاسب اقتصادية لوطنه من خلال قراءتي لكتاب ابن قيصر حول مسيرة الإمام ناصر، وكذلك أطروحة باثيرست وهو طالب انكليزي معاصر لي في أيام الدراسة حيث كتب عن اليعاربة في جامعة أكسفورد. وأردت أن أتحرى الموضوع بالمقارنة بين مصادر التاريخ المحلى العمانية. لقد كنت دائمًا أرى في الإمام ناصر اليعربي نموذجًا للزعيم الذي يحاول أن يجنب شعبه الكوارث ويحقق لها استقلالاً وازدهارًا اقتصاديًا، لا أن يورطها في حروب مدمرة وسياسات عقيمة لا تبقي ولا تذر، ولا شك أن الله تعالى قد حبى عمان بعدد من هؤلاء القادة الذين حققوا لها السلم وبالتالي التقدّم.

ومرة أخرى وافقت جامعة بغداد على تفرغي العلمي، وقد سافرت قاصدًا لندن للقيام بالبحث في مكتبات بريطانيا الغنية بالمخطوطات العمانية وبالدراسات والبحوث في تاريخ عُمان، خاصة بعد ظهور المستشرق البريطاني ولكنسون وبحوثه العديدة والمتميزة في تاريخ عُمان. ولكن العراق كان يمر بأزمة حيث الحصار الاقتصادي والمقاطعة السياسية. ولما كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة مع بريطانيا فقد سافرت والعائلة برًا إلى المملكة الأردنية الهاشمية لكي أحصل على التأشيرة إلى لندن. وكانت المفاجئة غير المرتقبة في الأردن، بالرغم من تقديمي ثلاث دعوات من ثلاث جامعات بريطانية لقبولي كأستاذ زائر وإبرازي كافة الضمانات المطلوبة بعودتي إلى بلادي بعد سنة التفرغ العلمي، رفض القنصل البريطاني منحي وعائلتي تأشيرة دخول إلى المملكة المتحدة. وبعد انتظار دام أكثر من شهر كنت أمام خيارين إما العودة إلى بلادي أو السفر إلى بلد آخر للعمل فيه وقضاء سنة التفرغ العلمي. وبتوفيق من الله تعالى وحسن الطالع إنني كنت قد فكرت بعيدًا، وحصلت بفضل زميلي وصديق طفولتي في الموصل الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو على موافقة للعمل في إحدى الجامعات الليبية. فقررت والعائلة السفر إلى ليبيا حيث عملت لمدة سنة دراسية

هناك. وهكذا أحبط القنصل البريطاني مشروعي للبحث عن الإمام ناصر اليعربي الذي كنت أتطلع إلى إنجازه بشوق كبير.

خلال تواجدي في ليبيا قرأت إعلانًا عن تأسيس جامعة جديدة في المفرق بالمملكة الأردنية الهاشمية باسم جامعة آل البيت، وإنها شملت مختلف التخصصات. كان رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت الذي زاملته لفترة قصيرة في جامعة لندن، إلا أن اختصاصه في التاريخ الحديث بينما كان اختصاصي في التاريخ الإسلامي. وبعد انتظار لم يدم طويلاً على تقديمي طلب الالتحاق وصلني والحمد الله أمر التعيين في الجامعة. فشددت الرحيل والعائلة وكان العزم هذه المرة باتجاه مدينة المفرق شمالي شرقي الأردن والتي تقع على طريق القوافل بين العراق وبلاد الشام والحجاز، وبدأت العمل في سبتمبر 1994م رئيسًا ومؤسسًا لقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المذكورة.

وفي جامعة آل البيت تعرّفت ولأول مرة على مجموعة من الطلبة العُمانيين، طالبات وطلاب وقمت بتدريسهم مختلف المقررات الدراسية، ووجدت فيهم الجدية كما اتسمت شخصيتهم بالهدوء وهذا أمر يتفق عليه جميع من اتصلوا بالطلاب العُمانيين في عُمان وخارجها. وكان من أهداف جامعة آل البيت أن تكون ملتقى إسلاميًا جامعًا ووسطيًا. ولذلك كان الأساتذة يلتقون بمختلف الجنسيات من الطلبة منهم العمانيين والماليزيين وغيرهم من العرب والمسلمين، إلا أن الطلبة العمانيين بقوا مثالاً للطلبة المدركين لواجباتهم في مجتمع الجامعة وفي بلدة المفرق الصغيرة. وحين بَدَأَتْ دراسة الماجستير في التاريخ والفقه وبعض الأقسام الأخرى في الجامعة، تطلعت علّني أجد طالبًا عُمانيًا يتخصص بالتاريخ كي أبدأ معه مشوارًا جديدًا في مسيرتي العلمية في التاريخ العُماني، إلا إنني لم أعثر على طالب عُماني يقدم للماجستير في التاريخ. ومع ذلك انفتح لي المجال حين قرر الأستاذ الدكتور البخيت أن يشركني مشرفًا مشاركًا على عدد من طلبة الدراسات الفقهية العليا وكذلك مناقشًا لأطروحاتهم. وكانت خطة البخيت تطعيم الدراسات الفقهية بأصول منهج البحث التاريخي وقواعده والعمل على كتابة فصل تاريخي لكل موضوع فقهي يقوم به الطالب في الماجستير. وقد تعرّفت من خلال هذا المنهج على نخبة من الطلبة العُمانيين الذين يدرسون الماجستير في قسم الدراسات الفقهية كان منهم ناصر السابعي الذي قدّم دراسة متميزة عن (الأحاديث

الواردة في الخوارج) سنة 1998م، وصالح البوسعيدي الذي كانت دراسته عن (رواية الحديث عند الإباضية) وغيرهم كثير.

وإذا كنت لم أجد طلبة عُمانيين في الدراسات التاريخية العليا، فقد عقدت العزم على اختيار نخبة من الطلبة الأردنيين لدراسة موضوعات تاريخية عُمانية في الماجستير. وهذا ما تحقق فعلاً حيث أشرفت بعض الأطروحات عن (الإمام جابر بن زيد الأزدي) وعن (العلاقة بين الفقهاء والأئمة في عُمان سنة 132–280هـ). كما كنت أوجه في يسيتشيرني من الطلبة في الجامعات الأردنية الأخرى لدراسة موضوعات في تاريخ عُمان كونها موضوعات بكر لم تبحث كثيرًا. كما التقيتُ في أثناء زياراتي للاشتراك في المؤتمرات التاريخية في المملكة المتحدة في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات بأحد النجباء الجادين من طلابي الذين كنت قد درّستهم في البكالوريوس في جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين في أوائل الثمانينات وواصل الاتصال بي منذ ذلك الوقت ولم يقطعه لحد الآن، وهذا الطالب هو الآن الأستاذ الدكتور حسن عبد الله النابودة الذي ركّز اهتماماته البحثية على شرقي الجزيرة العربية وكان كتابي كما قال **(مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العُماني)** الشمعة التي أضاءت له الطريق في بحوثه العديدة عن تاريخ عُمان ومصادرها. وتوج هذه الدراسات العلمية التاريخية بتحقيقه كتاب الأزكوي **(كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة)** تحقيقًا علميًا موضوعيًا مع مقدمة مفيدة جدًا. كما حقّق كتابًا آخرًا في تاريخ عُمان هو **(الصحيفة القحطانية)** لابن رزيق ونشره. كل ذلك على حسابه الخاص دون دعم من أية جهة علمية. فهو يحتسب ذلك مثل العديد من المؤرخين لوجه الله تعالى ولوجه العِلم ومن هنا نشاهده يسير بخطوات جادة وثابتة في الطريق الصحيح الذي يوصله إلى التميز.

وعودًا إلى جامعة آل البيت ورئيسها محمد عدنان البخيت فقد أثمرت جهوده الدؤوبة في الاتفاق مع الجهات ذات العلاقة بسلطنة عُمان إلى تأسيس **(وحدة الدراسات العُمانية)** 1998م/1419هـ والعمل على جمع الوثائق والمصادر اللازمة من أجل إيجاد مركز بحثي متقدم خارج السلطنة يهتم بتاريخ عُمان وتراثها. وقد أنيطت بي مهمة إدارة الوحدة إضافة إلى رئاستي لقسم التاريخ، ثم تفرغت بعد ذلك للعمل في الوحدة. ولم يكن العمل يسيرًا بل كان البخيت يخصص من وقته وجهده للإطلاع على سير العمل في الوحدة ويحرص على

تطورها، وغدت الوحدة ملتقى للطلبة العمانيين في الجامعة ينهلون من مصادرها ويقرأون آخر النشرات والصحف والمجلات العمانية. كل ذلك بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في المملكة الأردنية الهاشمية وبرعاية من المسؤولين العمانيين ذوي العلاقة في السلطنة وعلى رأسهم سماحة المفتي العام أحمد بن حمد الخليلي الذي لم ينفك يزرو الجامعة والوحدة في الملتقيات والندوات المتتابعة. وبالإضافة للندوات التي عقدت في الوحدة، فقد نشرت الوحدة عددًا من بحوثي ومؤلفاتي في تاريخ عُمان. وشاركت في الملتقيات المتتابعة للوحدة في موضوعات عديدة فلم ينقطع اتصالي بها ولا بالجامعة التي أمضيت فيها عشر سنين. وفي جامعة آل البيت أتيحت لي الفرصة لزيارة عمان ضمن وفد لإلقاء محاضرات في شهر رمضان من عام 1422هـ/2001م.

وفي صيف 2004م كنت قد وقعت عقدًا جديدًا مع جامعة آل البيت في عهد رئيسها الجديد الأستاذ الدكتور سلمان البدور، ولكني فوجئت باتصال هاتفي من الدكتور عصام بن علي الرواس عميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس يدعوني للالتحاق بجامعة السلطان قابوس، فشكرته على حسن الظن والثقة وأعلمته إنني قد وقعت للتو عقدًا مع جامعة آل البيت، وأن الأصول تلزمني أن أحترم العقد، ولكنه فاجأني مرة أخرى قائلاً بأنه اتصل برئيس جامعة آل البيت وأعلمه بنيّة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية الاستفادة من خدماتي، وأن رئيس الجامعة قد ترك الخيار لي.

وإزاء هذين الموقفين اللذين أعتز بهما: موقف الدكتور عصام الرواس وموقف الأستاذ الدكتور سلمان البدور لم يسعني إلا الموافقة مهما كلفني الأمر من غربة عن عائلتي التي كان بعض أفرادها لا يزالون في مراحل مختلفة من الدراسة في الثانوية والجامعة بالأردن، حيث لم أكن أرغب بالمغامرة في تغيير دراستهم لما قد يترتب على ذلك من أمور تؤثر على تحصيلهم. فقد اعتادوا على المقررات والبرامج الدراسية الأردنية.

والآن... بعد هذا المشوار من بداية السبعينيات من القرن العشرين حتى أوائل القرن الواحد والعشرين، وأنا أعود بالذاكرة إلى تلك القعود الماضية أدرك مدى عمق التدبير الإلهي الذي يدبّر شؤون البشر، وكيف أن قصتي مع تاريخ عُمان كانت محبوكة دون وعي مني لما تخبؤه الأيام. فقد تعلقت بتاريخ عمان والدعوة الإباضية جنبًا إلى جنب مع تاريخ العراق

والدعوة العباسية منذ بدايات شبابي وأنا أحضر للدكتوراه في جامعة لندن؛ ولم أكن أحلم بزيارة عمان أو أخطط للعمل فيها خاصة وأن جامعة السلطان قابوس لم تكن قد تأسست بعد.

وفي قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، وجدت فرصتي في العمل، فالمصادر متوفرة وغرفة عمان غنية بما يتعلق بتاريخ عمان والمكتبة فيها من المراجع والدوريات ما يغني الباحث المتطلع للبحث، وإدارة المكتبة وغرفة عمان مستعدة لتلبية طلبات الباحثين واستيراد ما يطلبونه من مخطوطات أو مصادر ومراجع جديدة غير موجودة. وكان قسم التاريخ قد بدأ العمل في الماجستير وفي الحال شمرت عن ساعد الجد وبدأت التدريس في السنة التمهيدية للماجستير بالإضافة في التدريس في البكالوريوس ثم الإشراف على رسائل الطلبة الذين أنهوا السنة التمهيدية من الماجستير. وفي غضون السنوات الأربعة الماضية تحققت لي ولأول مرة فرصة الإشراف على طلبة عُمانيين في ماجستير التاريخ الإسلامي ورغم تنوع موضوعات الرسائل ولكن الكفة الراجحة كانت لعناوين عن تاريخ عُمان.

وهذا شيء طبيعي فالطالب العُماني يميل لدراسة تاريخ بلاده قبل غيرها. والسلامي (ت 374هـ) يقول في كتابه (أخبار ولاة خراسان) أن "الواجب على صاحب المعرفة من أهل البلد أن يعلم جل أبنائها ويحفظ أيام أمرائها ولا شيء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه، ولعله يطلب أخبار غيرها، ويكون بذلك كمن ترك الواجب وتبع النوافل". وكان حصيلة الإشراف لحد سنة 2008م سبع رسائل في تاريخ عمان عدا الرسائل الأخرى في موضوعات لا علاقة لها بتاريخ عُمان.

وكنت أهمس في إذن كل طالب وطالبة ألا يعتبروا ما حصلوا عليه من شهادات نهاية المطاف بل تأشيرة دخول في معترك البحث العلمي وسيجدوا الآفاق مفتوحة أمامهم. أما من يهدف من الشهادة الشهرة والمنصب فقد حكم على مشروعه البحثي بالفشل. ورغم أن الغربة لها سلبياتها، فإن إيجابياتها تكمن في حرية الشخص في استثمار وقته. وبالنسبة لي فقد وجدت الفرصة بالإضافة إلى ما أشرت إليه من الإشراف على الرسائل الجامعية، أن أعيد ترتيب أوراقي البحثية حيث نشرت كتابًا بعنوان (**الموجز في تاريخ عمان في العصر**

الإسلامي)، كما شاركت وأشرفت على تحرير كتاب لمقرر (متطلب جامعة) يدرسه طلبة الكليات كافة وهو كتاب **(تاريخ عمان ودراسات في الحضارة الإسلامية)**، كما نشرت مقالة نقدية عن التحقيق الجديد لكتاب الأزكوي، وبحثًا آخر عن العوتبي، كما أعدت تنقيح ونشر عددًا من كتبي، وجمعت ما استطعت جمعه من بحوث ومقالاتي التي نشرتها في الدوريات المتنوعة وأعدتُ نشرها في كتب جديدة.

ومنذ 2007م حيث عُينت رئيس لقسم التاريخ بالكلية، أعددت بالتعاون مع لجنة الدراسات العليا بالقسم مشروعًا لدراسة الدكتوراه في التاريخ الذي سيرى النور بعد اجتيازه القنوات الأكاديمية المعتادة في أوائل 2009م، كما أن التعاون بين قسم التاريخ ومركز الدراسات العمانية بالجامعة غدا أكثر فاعلية ونشاطًا حيث تزخر خطط المركز بالعديد من المشاريع ومنها ما يتعلق بتاريخ عمان وتراثها.

وإذا كان ما قدمته في التاريخ العباسي قد نال التقدير حيث رشحت لجنة المناقشة أطروحتي لتنشر على نفقة جامعة لندن، ورشحتني لجنة "دائرة المعارف الإسلامية" الذائعة الصيت لكتابة مداخل عن التاريخ العباسي. فإن ما أنجزته عن تاريخ عمان لا يقل عن ذلك، فقد نشرت جامعة آل البيت ووحدة الدراسات العمانية فيها مؤلفاتي وبحوثي عن تاريخ عمان. ومنحتني في أكثر من مناسبة في مؤتمرات الجامعة أوسمة تقديرية. ورشحتني هيئة (الموسوعة العمانية) في سلطنة عمان لكتابة مداخل عن تاريخ عمان، لعل أبرزها مدخل (عمان والدولة العباسية). ومن المفارقة أن هذا المدخل يجمع بين الاختصاصين الذين اكتب فيهما التاريخ العباسي والتاريخ العماني. ولا أنسى تكريم معالي الفاضل عبد العزيز بن محمد الرواس مستشار جلالة السلطان قابوس للشؤون الثقافية وكلماته التي ستبقى محفزًا لي في دراساتي التاريخية عامة والعمانية خاصة، وقد علّق في رسالة خاصة بعد أن قرأ **(قصتي في تاريخ عمان)**: "أن قصتكم مع تاريخ عمان قد أظهرت لي صورتكم المثابرة في البحث..".[1]

([1]) رسالة بتاريخ 2008/7/1م، مسقط.

هذه قصتي مع تاريخ عمان حاولت إيجازها والإشارة إلى علاماتها البارزة في مسيرتي التي اعترضتها عقبات، ولكنها كانت تحظى بالرعاية الإلهية في كل مراحلها وإلا لما تحقق ما تحقق. فالله والحقيقة من وراء القصد والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيرًا.

مؤلفات الباحث في تاريخ عُمان:

الكتب:

1- مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العُماني المحلية، ط1، بغداد، 1979م، (عدة طبعات).

2- تاريخ الخليج العربي في القرون الإسلامية الأولى، ط1، بيروت، 1983م (يحتوي على عدة محاور عن عُمان)، (عدت طبعات).

3- الإمامة الإباضية في عُمان، منشورات وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، ط1، الأردن، 1979م.

4- دراسات في تاريخ عُمان، منشورات وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، ط1، الأردن، 2000م.

5- موجز تاريخ عمان السياسي في العصر الإسلامي الوسيط، ط1، الأردن، 2008م.

6- تاريخ عمان ودراسات في الحضارة الإسلامية (تحرير ومشاركة)، ط1، مسقط، 2008م، ط2، سنة 2009م.

كتب مترجمة:

(1) العلاقات العربية – الأمريكية في الخليج، تأليف أميل نخلة، ترجمة فاروق عمر فوزي، نشر مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العراق، 1977م.

الأبحاث والمقالات:

1- ببليوغرافيا في تاريخ عمان 1947م، مجلة المورد، وزارة الثقافة، بغداد، العراق.

2- ملامح من تاريخ الإباضية كما تكشفها مخطوطة كشف الغمة للأزكوي، 1975م، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العراق.

3- عوامل تدهور وسقوط الإمامة الإباضية الثانية في عُمان 1977م، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق.

3- عوامل تدهور وسقوط الإمامة الإباضية الثانية في عُمان 1977م مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق.

4- مصادر التاريخ العماني المحلية 1977م، الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، (منشورة ضمن إصدارات الندوة).

5- ثلاث معارك حاسمة في تاريخ الخليج العربي، 1984م، مجلة آفاق عربية، بغداد، العراق.

6- نظرية الإمامة لدى الإباضية في عمان، 1985م، ضمن كتاب التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، بغداد، العراق.

7- الفكر السياسي للخوارج بين النظرية والتطبيق، 1998م، مجلة الندوة، عمّان، الأردن.

8- انتشار عرب الخليج في الأقاليم الشرقية للخليج العربي، 1999م، مجلة المنارة، عمّان، الأردن.

9- دور أهل عمان في نشر الإسلام، 2000م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ عُمان- المفرق، الأردن.

10- الإمامة اليعربية من خلال المصادر التاريخية العُمانية، 2004م، منشورات وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، الأردن.

11- صورة الفقهاء الإباضية في المصادر التاريخية، 2004م، منشورات وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، الأردن.

12- كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة للأزكوي، 2006م، تحقيق حسن النابودة، نقد وتعليق، مجلة الدار، الرياض.

13- مشادة حول العوتبي الصحاري، 2008م، منشورات وحدة الدراسات العُمانية، جامعة آل البيت، الأردن.

14- قصتي مع تاريخ عُمان... (هذه المقالة).

أطروحات عن تاريخ عُمان أشرف عليها:

(1) الدعوة الإباضية في المشرق العربي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1977م.

(2) الإمام جابر بن زيد الأزدي الإباضي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة آل البيت، 1997م.

(3) العلاقة بين الفقهاء والأئمة الإباضية في عُمان 132-280هـ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة آل البيت، 2003م.

(4) نزوى في عهد الإمامة الإباضية الثانية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2006م.

(5) قضية الإمام الصلت بن مالك الخروصي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2006م.

(6) الإمامة الإباضية في اليمن والحجاز، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2007م.

(7) صورة عمان في مصادر الجغرافية والرحلات الإسلامية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2006م.

(8) الأحوال السياسية والثقافية في عُمان خلال القرنين 6و7هـ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2008م.

(9) الصراع القرمطي – البويهي حول عُمان، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2008م.

(10) الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، دراسة وتحقيق، (مشرف مشارك)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2006م.

أطروحات في الفقه والحديث شارك في الإشراف عليها:

1- رواية الحديث عند الإباضية، قسم الفقه، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 1998م.

2- الأحاديث الواردة في الخوارج، دراسة تخريج، قسم الفقه، جامعة آل البيت، الأردن، 1998م.